مجلة رؤى في الآداب والعلوم الإنسانية
ISSN/2716-8417 *رقم الإيداع الوطني 2020/09
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/725
المجلد:02 العدد:03 ص:...../.....

# علم اللّهجات وقضايا التّعليمية بين العربية الفصيحة واللّهجات العامية المنحرفة

Dialectology and educational issues between classical Arabic and deviant colloquial dialects


| المعطيات | المؤلف الأول | المؤلف الثاني | المؤلف الثالث |
|---|---|---|---|
| الاسم واللقب | عبد القادر بن التواتي | | |
| الدرجة العلمية | أستاذ محاضر-أ- | | |
| مخبر الانتماء | مخبر علوم اللّسان | | |
| جامعة الانتماء | جامعة عمار ثليجي الأغواط | | |
| البلد | الجزائر | | |
| البريد الإلكتروني | 1967amel@live.com | | |



| الملخص باللغة العربية | |
|---|---|
| الملخص | . **ملخص:**إن علم اللهجات وإن كان جديدا في أوروبا وأمريكا ، إذ لم يظهر سوى في القرن 18م ، فإنه قديم في الدراسات اللغوية العربية ، واهتمامهم به كان نتيجة جمعهم للغات العرب لتكون تأصيلا للعلوم اللغوية الصوتية والنحوية والصرفية والمعجمية وغيرها من العلوم التي كانت معينا لفهم نصوص القرآن الكريم ، وينبغي أن نشير إلى أن اللهجات هذه هي أصل الفصاحة العربية ، وليست لهجات متنوعة متعددة كما هو الشأن في الشرق و أوروبا وأمريكا .هذا البحث يعرض الاختلاف في البحث بين اللهجات العربية القديمة واللهجات (المحلية العامية)والنزعات القائمة بين الباحثين المتخصصين وأشباههم في العالم العربي ، كما يعرض لدعاوى الاهتمام بالعاميات وإحلالها محل الفصحى في شتى مناحي الحياة التعليمية والثقافية والإبداعية . |
| الكلمات المفتاحية: | **الكلمات المفتاحية:** علم اللهجات، القديم ، الحديث، أهميته، نتائجه،. |
| الملخص باللغة الأجنبية | |
| ABSTRACT: | **Abstract:** The science of dialects, although new in Europe and America, as it did not appear until the 18th century AD, is old in Arabic linguistic |

| | |
|---|---|
| | studies, and their interest in it was the result of their collection of Arab languages to be a rooting for linguistic sciences phonetic, grammatical, morphological, lexical and other sciences that were aided in understanding the texts of the Qur'an. Noble, and we should point out that the dialects e / e are the origin of Arabic eloquence, and not a variety of dialects as is the case in the East, Europe and America.<br>This research presents the difference in research between the ancient Arabic dialects and the (local vernacular) dialects and the existing trends between specialized researchers and their like in the Arab world, as well as the claims of interest in colloquial and substituting it for classical in various aspects of educational, cultural and creative life. |
| Key Words: | **Keywords**: dialectology, ancient, modern, importance, its results |

**1-مقدمة**

العلم القديم الجديد وهو في الحقيقة فرع من أهم فروع الدراسات اللغوية وأوسعها نطاقًا ويُسَمَّى: "**الدياليكتولوي**" "**Dialectologie**" أي:علم اللهجات وموضوعه:دراسة الظواهر المتعلقة بانقسام اللغة إلى لهجاتٍ تختلف باختلاف البلاد أو باختلاف الجماعات الناطقة بها ... وما إلى ذلك.

**1-2-إشكالية الموضوع:**

يتناول البحث إشكالية اللهجات،وما المقصود باللهجات العربية؟، فهل هي اللهجات العربية القديمة الفصيحة التي اعتمدها العلماء الأولون في استنباطهم قوانين اللغة نحوا وصرفا وصوتا...،أم اللهجات العامية المتداولة في مختلف دول العالم العربي؟وما هي خلفيات البعض في محاولة إحلال اللهجات العامية مكان العربية الفصيحة؟

**1-3-أهمية الموضوع:**

تكمن الأهمية في خطورة ما يسعى إليه بعضهم، من تمكين اللهجات المحلية، وعدم إهمالها لأنها تمثل شريحة هامة في المجتمع العربي، خاصة في الجوانب الإبداعية الفنية، وهذا حسب اعتقادهم طبعا، بل وذهب بهم الأمر إلى ضرورة التّفكير في وضع ضوابط وقوانين خاصة بهؤلاء، وهو ما يمكنهم من فرض أمر واقع.

**1-4-المنهج:**

اعتمد البحث على المنهج المقارن في بدايته بين اللهجات القديمة الفصيحة واللهجات العامية المحلية، والفارق بينهما من حيث الأهمية،كما اعتمد على المنهج التاريخي الذي يظهر تطور ظاهرة اللهجات المحلية،والهدف من الاهتمام بها، لأنها ليست جديدة، وإنما هي مشروع بدأ منذ فترة بعيدة (بعد استقلال

بعض الدول العربية، خاصة لبنان التي تعتبر أول بلد تظهر فيه مثل هذه الدعاوى الممنهجة، ولها من يساندها ويقويها لغايات معروفة، قد تناولها البحث بالتحليل والتوضيح.

**1-5-الدراسات السابقة:**

هناك دراسات كثيرة تناولت موضوع اللهجات القديمة لأنها أساس القواعد التي نشتغل عليها اليوم علميا وتربويا....،كما أن موضوع اللهجات العامية وما يسعى إليه هذا التيار، لقي مواجهة من أهل العلم والاختصاص، وعقدت الكثير من اللقاءات العلمية، وعرضت الكثير من البيانات من مجامع اللغة خاصة مجمع القاهرة تستنكر مثل هذه المشروعات الهدامة وتحذر من خطورتها.

**2- علم اللهجات بين القديم والحديث**

**2-1- علم اللهجات في التراث اللغوي.**

أدى انتشار اللحن الذي فشا في الناس إلى بداية الدراسات اللغوية العربية وكان أول ما اهتم به اللغويون العرب اهتماما كبيرا اللهجات العربية، التي جمعت عن الفصحاء فكانوا يذهبون إليهم في البوادي ويحتملون أقسى المتاعب في ذلك ليأخذوا من أفواههم كلمة أو يسمعوا منهم بيتا أو شرحا أو يتلقوا عنهم شفها طرائق النطق وصياغة الكلام وقد يأخذون من الأعراب المتاخمين للمدن إذا ثبت لديهم أن لغتهم ما زالت سليمة وقد طبقوا أرقى المناهج العلمية التي يستعملها علماء اللغة في العصر وكانوا سباقين إلى استحداث هذه المناهج التي عن هؤلاء أخذت المناهج العلمية في ميدان علم اللغة. ومنه فإن العربية هي اللغة الوحيدة من بين اللغات العالمية التي جمعت ودوّنت سواء كانت هذه اللغات قديمة أم حديثة.

**أ-جمع كلام العرب**:أما طريقة اللغويين-ومنهم النّحاة-في جمع اللغة فكانت وقفا على السّماع .

**ب- التصنيف**: يقول عباس حسن: لما جمعوا من كلام العرب ما استطاعوا عكف النّحاة عليه ينظرون فيه من جهة أخرى ويهيئون أنفسهم لعمل جديد يختلف عمّا سلف فإذا مرحلة الجمع تقتصر على جمع ألفاظ اللغة من أفواه أهلها وحفظ ما تجمع لديهم ثمّ تدوينه.

ج-**استنباط القوانين النحوية ووضع المصطلحات**: أما المهمة الثانية فإنها وقوف النحوي أمام المدونة اللغة (مفردات وتراكيب)ثم يراقبها مراقبة دقيقة تنبئ عما يلحقه من تغيير في المواقف المختلفة والحالات الكلامية المتباينة وتحصر ذلك التغيير في حدود مضبوطة لا يند عنها شيء.

وفي سبيل هذه الغاية النبيلة وتحقيقها أطالوا الوقوف، والمراقبة، والموازنة، واحتملوا من العناء والمشقة ما لا يحتمله إلاّ العاملون الصابرون، ووصلوا من هذا كلّه إلى استنباط قواعد مختلفة : لغوية ونحوية ، وصرفية وبلاغية ومعجمية ،ولكل منها آثاره ومزاياه في صحة القول وسلامة الكلام ، وقوة تأثيره وكان من مزايا النحو إرشادنا إلى ضبط أواخر الكلمات ضبطا صحيحا مع ما قد يتبعه من ضبط حروف أخرى، أو وضع كلمات وضعها السليم من جملتها وما يتصل بهذا من حذف وزيادة وتقديم وتأخير ... وغيره مما يوضحه (علم النحو).

فقد راقبوا آخر الكلمة في مئات الأمثلة فعرفوا أنّها قد تكون معربة مرفوعة الآخر أو منصوبة ، أو مجرورة، أو مجزومة، وقد تكون مبينة.واتجهوا إلى المرفوعات في مئات الأمثلة وجهدوا في استقصاء أحوالها، وتتبع أوصافها حتى استطاعوا أن يحصروا حالات الرفع وحدها وكشفوا خصائص كلّ حالة، وظواهرها: وانبروا يسجلون تلك الخصائص والظواهر ويطلقون على كلّ حالة منها اسما تنفرد به، ولا يصدق على

غيرها؛ فهذه مبتدأ، وتلك خبر، وهذا فاعل وذاك اسم كان.....الخ ومثل ذلك فعلوا في الكلمات المنصوبة الآخر، أو المجرورة، أو المجزومة أو غيرها من المعربات أو المبنيات ،ودونوا قواعدهم في علم خاص سموه : علم النحو.( عباس 1966 ص: 20-21)

استمد اللغويون قواعدهم اللغوية والنحوية من الكلام العربي الأصيل، فقد أخذوا عن القبائل العربية الموغلة في التّبدي ، ولم يأخذوا من العرب المتاخمين للمدن لفساد لغتهم. جاء في كتاب المزهر على لسان الفارابي قوله: قال أبو نصر الفارابي في أول كتابه المسمى بالألفاظ والحروف: كانت قريش أجود العرب انتقادا للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس، وتميم ،وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيرها علما وصناعة هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين أمصار العرب(السّيوطي (ب س) ج 1 ص167-168).

ويجب أن ندرك المقصود من هذا التقسيم الذي وضعه الجامعون للغة، فهم لم يكونوا مجرد جامعي بل إنهم كانوا يحملون تصورا دقيقا للغة التي ينبغي الانطلاق منها وجعلها مصدر تقعيد وضبط ونعني السليقة أو ملكة اللغة التي لم تفسد ولم تتأثر بأي دخيل مهما كان مصدره لذلك استبعدوا أي شك ولو كان ضئيلا .

ولذلك شرح الدارسون مفهوم السليقة، كانوا يعنون ملكة اللغة التي هي إدراك مسبق فطري لمجموع التراكيب اللسانية، الدالة فالإنسان يولد وهو مزود بمجموعة من المقولات والعلاقات الدلالية، التي لقنها له الله -عز وجل- عن طريق الإلهام، هذا في الفكر العربي، وما درا بين العلماء من نقاش حول أصل اللغة،(هل هي وضع أم إلهام؟) وبغض النظر عن حقيقة أصلها تبقى السليقة هي مصدر تنظير، واستنباط للقوانين النحوية التي تحكم اللسان من اللحن فصاحب(السليقة) هو المنتج للفصيح من اللغة العربية.

يقول نهر هادي: إن القول بفطرية اللغة أو إبداعية اللغة، أو مفتوحية اللغة Opendness) ،التي يمكن للإنسان في ضوئها أن (يبدع)، أو (يولد) عددا غير نهائي من الجمل،وأن يفهم جملا لم يسبق له سماعها تعود بنا أولا إلى النقاش الواسع الذي عاشه العلماء المسلمون على الصعيد الفلسفي والديني، وأجمعوا فيه على أن الإنسان (مجبول على الفطرة)(نهر 2011م ص:189)،وقد استشهد العلماء بنصوص من القرآن الكريم ،واستشهد الفلاسفة - فيما استشهدوا به - برواية حي بن يقظان الشهيرة.وتعود بنا ثانية

إلى إدراك اللغويين العرب العلاقة الموجودة بين المعاني في الذهن والاستعداد الفطري والتصور ،فيعرف (الشريف الجرجاني) (ت816هـ)المعاني بأنها هي الصور الذهنية'ويعرف الذهن بأنه الاستعداد التام لإدراك العلوم والمعارف بالفكر(نهر 2011م ص:190).

**3-أهمية علم اللهجات:**

لعلم اللهجات أهمية كبرى في الدّرس اللغوي عموما، أبرزها ارتباطه بعلم القراءات،فالقراءة القرآنية من شروط قبولها واستنباط القوانين المختلفة النحوية والشرعية وغيرها من العلوم اللغوية والشرعية، وجب أن توافق لهجة من لهجات العرب ولو احتمالا، لأن هذه اللهجات كلها هي من الفصاحة، وهي مفاتيحه لفهم وإدراك المقاصد قال ابن العباس: إذا صعب علينا الحرف فعلينا بكلام العرب . أما تنوع اللهجات فقد تحدث ابن جنّي عن اختلاف اللغات وكلُّها حجة، وذكر أنَّ اللغتين إذا كانتا في القياس سواء فليس لك أن ترد إحداهما بصاحبتها؛ لأنَّها ليست أحقَّ بذلك من رسيلتها، أمَّا أن تقل إحداهما جدًا، وتكثر الأخرى جدًا فإنَّك تأخذ بأوسعهما رواية، وأقواهما قياسًا(ابن جني 1956م- ج 2ص:10).

أما أبو حيان الأندلسي، فرأى أنها: "الوجوه المختلفة التي سمح النبي - صلى الله عليه وسلم - بقراءة نص المصحف بها قصدا للتيسير، والتي جاءت وفقا للهجة من اللهجات العربية (مزيد روفائيل2006م (28) ع1ص27)

و أصل التّقعيد اللغوي والشّرعي والاجتماعي والنّفسي. ففي التقعيد اللغوي تناول النحاة الأصوليون والفقهاء الأصوليون والمفسرون جميعهم قديمهم وحديثهم اللهجات، وكانت أصل الفهم كلّه. ومنه يظهر فضل القرآن على العربية، أنه جمع شتاتها و خلصها من شتات اللهجات الكثيرة،فهي منه كما يقول الدكتور مزيد إسماعيل نعيم و. روفائيل أنيس مرجان: يمكن أن أعد القرآن الكريم بمنزلة الروح من الجسد بالنسبة للغة العربية، بل قل بفضله سادت اللغة العربية وتهذبت، وضبطت قواعدها، واتصلت حلقات عصورها، وانفتحت للعلوم والمعارف، وحفظت وحدتها.(مزيد روفائيل2006م (28) ع1ص27) والدلائل تثبت ذالك وحتى لا نطيل الحديث في هذا الجانب.

**4-علم اللهجات "Dialectologie في الدّراسات اللغوية العربية الحديثة .**

إذا كان اللهجات كما رأينا تعني اللغة العربية الفصيحة التي نطقت بها العرب، وبقيت محافظة على سلامتها من أي تأثير خارجي مهما كان نوعه، وقد تحرى فيها الجامعون الدّقة والتّشدد في الأخذ والتّدوين. فإن اللهجات في العصر الحديث ليست هي هذه اللهجات الفصيحة القديمة، بل لهجات محلية مختلطة مثل: القبطية في مصر، والآرامية في الشام، والأكادية في العراق، والبربرية في المغرب العربي، ورغم انتصار العربية إلا أنها قد احتفظت ببعض الخصائص اللغوية من اللغات المهزومة.ثم بدأت تظهر لهجات ممزوجة بين ما هو أصلي وأضيف إليه من لغات أخرى كان لها تأثير كبير، فاللهجة عندنا في الجزائر هي مزيج من العربية والأمازيغية والفرنسية والتركية أيضا .وهذا ينطبق على غالبية اللهجات في العالم العربي .

**4-1- إبراهيم أنيس وعلم اللهجات**

تهيأت للمرحوم الدكتور إبراهيم أنيس ظروفٌ خاصة دفعته دفعًا للدرس اللهجي . فقد عاد من لندن حيث الاهتمام بالدرس اللهجي على أشده ولمس . رحمه الله . هذا الاهتمام وأشار إليه قائلاً: تعد دراسة اللهجات من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية، فلقد نمت هذه الدراسة في الجامعات الأوربية خلال

القرنين التاسع عشر والعشرين حتى أصبحت الآن عنصرًا هامًّا بين الدراسات اللغوية الحديثة، وأسست لها في بعض الجامعات الراقية فروع خاصة بدراستها، تعنى بنشرها، وتحليل خصائصها، وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتيًّا يبقى على الزمن.فحركة الدرس اللهجي متطورة، بفضل استعانتها بأحدث الأجهزة والأدوات(الدسوقي ع 9ص4) .

ولذلك يقر الكثير من الباحثين اللغويين العرب المحدثين بأن الدكتور إبراهيم أنيس هو أول من أقحم هذا العلم، وفتح له مجالا واسعا، وشجع على البحث فيه.وله دراسات قيّمة أذكر منها

- **تطوّر البنية في الكلمة العربية**، للدكتور إبراهيم أنيس، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، م 11، 1959م
- **في اللهجات العربية**، للدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- **المعجم الوسيط**، للدكتور إبراهيم أنيس ورفاقه، دار الفكر، بيروت.
- **من أسرار العربية**، الدكتور إبراهيم أنيس، مطبعة لجنة البيان 1951م.

وهذا النموذج في كتابه: في اللهجات العربية. يقول فيه (أقدمت على نشر كتاب **في اللهجات العربية)** أستحث به الهمم على العناية بمثل هذه الدراسة" معربًا عن أمله في "ألا يمر زمن طويل قبل أن نرى بحوثًا جليلة تكشف لنا عن أسرار اللهجات العربية".

قدّم . رحمه الله . خطة بدونها ربّما "ستظل آراؤنا في اللهجات القديمة مجال الجدل والنقد، وأحكامنا عليها أقرب إلى الترجيح منها إلى اليقين" ورأى أنه لكي يتم تجنب ذلك يجب أن تقوم هذه الدراسة على "أسس علمية سليمة "ويجب أن نتبع" الطريق المستقيم" في دراستها(أنيس ع9-21).

وجاءت هذه الأسس في ثلاثة محاور هي:

أ . دراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة مستفيضة في كل البيئات العربية للتعرف على خصائصها، وما امتازت به؛ لأنها "انحدرت من لهجات قديمة متباينة، جاءت إلى مناطق تتكلم لغات غير عربية "

ب . دراسة القراءات القرآنية دراسة واسعة غير مكتفية بما روي في بطون الكتب، بل يجب أن تطبّق على ما نسمعه فعلاً من أفواه المجيدين للقراءات في البيئات العربية المختلفة، مستخدمين في دراستنا النظريات الصوتية الحديثة، والمقاييس والآلات التي تستخدم في معامل الأصوات(أنيس ع 9ص21)).

وهنا ندرك أن إبراهيم أنيس كان يقدم مشروعا ضخما يهدف إلى إعادة دراسة التراث اللغوي من جميع جوانبه واللهجية خاصة، والجديد في هذا إعادة دراسة اللهجات المحلية في الوطن العربي خاصة تلك التي لها أصول في لغات مندثرة،وفق التّصور التالي:

1-جمع الروايات المتناثرة في بطون كتب اللغة والأدب مما يمت إلى اللهجات القديمة بصلة.

2- ثم تمحيصها وتحقيقها، وإصلاح ما فسد منها في رواية مبتورة، أو رواية ممسوخة، سالكين تتبع السّند لتمييز الحق من الباطل، والصحيح من الزائف. ثم يلي ذلك دراسة تاريخية مستفيضة لتنقلات القبائل وما بعد هذه التنقلات، ودراسة البيئات الاجتماعية لهذه القبائل في العصور المختلفة، وما خالطت من أمم وشعوب(أنيس ع9ص6) والمشروع هذا لم يسلم من النقد، بل إن إبراهيم أنيس كما تشير الروايات تردد في طبع كتابه فقد ظهرت الطبعة الأولى لكتاب " في اللهجات العربية "الذي جاء" بمثابة دعوة إلى البحث في اللهجات العربية قديمها وحديثها" بعد أن تردد يرحمه الله . زمنًا غير قصير قبل أن يقدم على نشره "فهناك"

انصراف أهل العلم في مصر عن هذه الناحية من البحث اللغوي واكتفاؤهم بترديد بعض الروايات الشائعة في ثنايا كتب التاريخ والأدب، دون فهم لها أو نظر فيها، أو عناية بعرضها عرضًا علميًّا صحيحًا، مؤسسًا على أحدث النظريات التي قررها المحدثون(أنيس ع9-ص20) وهذا لعمري يعد بمثابة إعادة تحقيق التراث اللغوي وفق آليات حديثة، قد تمكن من الوقوف على نفائس ومذهبات غفل عنها السابقون من علمائنا نتيجة ظروف معينة فكرية أحيانا وسياسية غالبا.أو ناتج عن الاعتقاد الفاسد أن السّلف لم يترك للخلف ما يتحدث فيه.

وهناك أمور مهمة نستخلصها من مشروعه هذا القيّم، وهي تثبت الحكم الذي أصدرناه آنفا:

1- يجب أن تطبّق على ما نسمعه فعلاً من أفواه المجيدين للقراءات في البيئات العربية المختلفة.
2- مستخدمين في دراستنا النظريات الصوتية الحديثة، والمقاييس والآلات التي تستخدم في معامل الأصوات

لا أحسب أنني سأتناول كل ما قدمه إبراهيم أنيس من أعمال علمية، فهي كثيرة ومتعددة المناحي، وإنما هي إشارات لبعض ما نجده في المكتبة اللغوية ضمن سلسة كتب الرجل الهامة. التي تناولت الدرس الصوتي خاصة، ومن المهم أن إبراهيم أنيس هو أول من أدخل مصطلح التنغيم في الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، وسماه(موسيقى الكلام) ، حيث ذكر أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد، تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها.... ويمكن أن نسمي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية).فالتنغيم مصطلح لساني يقابل لفظ (Intonation) يقول روبنز معرفاً التنغيم: تتابعات مطردة من الدرجات الصوتية المختلفة . ويقول دانيال جونز: التنغيم ربما يُعَرّفُ بأنه التغيرات التي تحدث في درجة نغمة الصوت في الكلام والحديث المتواصل، هذا الاختلاف في النغمة يحدث نتيجة لتذبذب الأوتار الصوتية ،فالتنغيم مرتبط بالاهتزازات التي تحدثها الأوتار.

وهذا ما نجده في باقي كتبه القيمة، التي تناول فيها جل القضايا المتعلقة بالصوت والدلالة والعروض، وامتازت آراؤه بالجرأة ، مما جعله عرضة للنقد، فقد نقده صبحي الصالح بقوله:وقد تحدث كثير من الدارسين المحدثين عن هذه اللهجات بمؤلفات وخصوها منهم الدّكتور: إبراهيم أنيس في كتابه في اللهجات العربية وله تخريجات خاصة منها :كسر حروف المضارعة أو ضمها في غير ما كان ماضيه على أربعة أحرف من تلك الظواهر التي عني بها علماء العربية.

**2-4- بعض الآراء النّقدية لمشروع إبراهيم أنيس:**

لم يسلم إبراهيم أنيس من النّقد الذي وجه إلى مشروعه، وحتى بعض آرائه العلمية التي اعتبرت آراء متسرعة، كان يجب عليه التّأني قبل إعلانها، ومن بين الذي نقدوه صراحة صبحي إبراهيم الصالح بقوله: إنني -على إجلالي للدكتور إبراهيم أنيس، وتطلعي إلى الإفادة من كتبه، كما تَنمُّ عن ذلك "دراساتي" هذه، أرى في جُلِّ مباحثه عيبًا لا أطيق الإغضاء عنه أو السكوت عليه، وأرجو مخلصًا أن يتداركه بنفسه في الطبعات المقبلة, وإن هذا العيب ليتمثل في تهاونه بأقوال المتقدمين، وندرة عزوه الآراء إلى أصحابها، واستخفافه برد الشواهد إلى مراجعها ومظانها، كأن كتبه محاضرات عجلى لا مباحث مدروسة، أو كأنها مجموعة ملاحظات, ليس فيها تحقيق للنصوص، ونقد للوثائق، وموازنة بين المذاهب، مع أن اللغة، ولا سيما

العربية،لا تدرس إلّا من خلال النصوص، فهي أصوات تسمع ثم تحفظ، ثم تنقد، وهي بذلك -كعلوم الدين- لا ينقل شيء بغير دليل يثبته، أو رواية تشهد له، أو برهان يقوم عليه. ولو صبر الدكتور أنيس على كتبه هذه صبرًا أجمل، ومنحها وقتًا أطول، ثم لمَّ شتاتها بنفسه في كتاب واحد جامع منقح غني بالمصادر الأصلية الأساسية، لأدى في هذا العصر أجلَّ خدمة لعلماء العربية، فما من شك في انطواء بحوثه على آراء أصيلة, إن فاتها الصواب أحيانًا لم تفتها الجراءة، وإن أهملت فيها النصوص غالبًا, عوض إهمالها صلاح المنهج الذي أشهد بحرارة أنه دفع الدراسات اللغوية إلى الأمام قرونًا وأجيالًا.(صبحي 1960م ص 144)

وفي كتاب الأستاذ المبارك "فقه اللغة", الذي تمَّ طبعه خلال هذا العام في مطبعة جامعة دمشق، نظرات ثاقبة، وآراء في العربية ناضجة, حرصنا على الإفادة منها أيضًا في "دراساتنا" هذه، لكنها لم تبرأ مما يؤخذ على مؤلفات الدكتور أنيس, فلقد يخيل إلى القارئ أن الأستاذ المبارك لا يبالي بالنصوص القديمة كثيرًا، فما يذكرها إلّا قليلًا, ونادرًا ما يعزوها في الحواشي إلى أصحابها، مع أن الأستاذ دراسات في فقه اللغة(صبحي 1960م المقدمة)، ونُقد أيضا في بعض أحكامه مثل:إذا وجد أغراضاً حاول أن يطبق عليها علمه السابق فإذا وجد فيها نوعاً من المغايرة بحث عن الأسباب ودرسها لا أنه ينكرها أو يخضعها بالقوة لمعلوماته..

ورغم ذلك فإن إبراهيم أنيس كما استنتجته من أقواله كان لا يهدف إلى الاهتمام باللهجات العربية العامية لأجل تطويرها لتحل محل العربية الفصحى، وإنما لحل الكثير من الإشكالات اللغوية التي بقيت عالقة، أو كانت موقع خلاف بين اللغويين حول حقيقتها العلمية .أو يهتم باللهجات المحلية وجعلها مركز الاستنباط والتّقعيد والتّشريع كما نسمعه ونجده عند بعض الأصوات النّاعقة في الوطن العربي وهي معروفة- تدعو إلى إبعاد الفصحى وإحلال اللهجات المحلية محلها ،فلقد كانت اللغة العربية ولا تزال هدفا من الأهداف الأساسية لهجوم المستشرقين والمبشرين ، وقد بذلوا جهودا مستميتة لإثبات صحة ما يقولونه من فريات حول اللغة العربية من قبيل اتهامها بالقصور والعجز والتعقيد، كما حاولوا محاربتها بتدعيم تعليم اللهجات المحلية أو العامية وإحلالها محل الفصحى، وتشجيع كتابة الأدب والشعر بالعامية والحث على عمل المسابقات وإنشاء الجوائز والإسهاب في دعمها بالمقالات المؤيدة ، وما أكثر الكتب التى صدرت عن هيئات أجنبية أو كنسية وغيرها لتعليم العامية ، وتدريس هذه اللهجات المحلية فى الجامعات على نطاق لافت للنظر بهدف زعزعة الفصحى لغة القرآن الكريم. أو أن الأمر لا يعدو أن يكون تقليدا للغرب فالجامعات الأمريكية والغربية تقوم بتدريس اللهجات العامية لذلك علينا أن نحذو حذوهم ونساهم في اقتلاع لغتنا بأيدينا .. وأن اللغة العربية أصبحت إحدى العقبات فى سبيل انطلاق العقل العربي.

- **اللهجات(العامية)**

من الواضح أننا نتحدث هنا عن العامية، والعامية عند المتخصصين من أهل اللغة العربية ،هي **اللغة المنحرفة** كما يرى الدكتور شوقي ضيف. والاهتمام بها سيؤدي حتما إلى ما حدث للاتينية، استخدام العامية لن يقطع الصلة بيننا وبين الفصحى فحسب بل يؤدي إلى فنائنا وزوالنا عقلا وفكرا ولن تبقى سوى الأجساد لا قيمة لها كما يقول كمال بشر: إن اللغة هي الإنسان: جسما وعقلا و فكرا، فاللغة مرتبطة بالعقل والجسم أيضا، وقد قال العربي في القديم.

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق إلا صورة اللحم والدم(بشر م الألوكة ص4).

إن اللاتينية مثلا، كانت هي اللغة الأدبية في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا في العصور الوسطى، وكانت العاميات المنتشرة في هذه البلاد، هي اللهجات الإيطالية والفرنسية والأسبانية، وهي عاميات لاتينية، تشبه العاميات العربية في صلتها بالفصحى. وقد أدى استخدام الأدباء والشعراء لهذه العاميات بعد ذلك، في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا، وتركهم اللغة اللاتينية الأدبية الأم، إلى موت هذه اللغة، وانسلاخ العاميات عنها، وتكون اللغات الإيطالية والفرنسية والأسبانية، وهذا هو ما يريده دعاة العامية، وهو أن تتفكك لغتنا إلى لغات شتى، في أرجاء الوطن العربي.

وخلاصة القول أنه لا يحق لنا أن نخلط الفصحى بالعامية، بدعوى أنها تمتّ إليها بصلة، فإن اللغة العربية لها قدرها وجلالها وقداستها وتاريخها وأهلها والعامية خليط من هنا وهناك ، فمن ضاق بالفصحى فليتركها ويبقى في عاميته، فلا عليه أن يستخدم عاميته في أحاديثه وكتاباته، غير أنه لن ينتزع منها شهادة بأن هذه العامية هي والفصحى سواء.

وهناك محاولات مدروسة، بل مشاريع تستمد خططها وتموينها من هيئات ومؤسسات تبشيرية تشتغل منذ زمن بعيد ومن أبرز النماذج التي تثبت حقيقة ذلك. ففي عام 1393 هـ 1973 م انعقد في برمانا في لبنان مؤتمر ضم عددا من أساتذة الجامعات في أمريكا وأوروبا والبلاد العربية. وبحث فيه اقتراح فرنسي قدمه جاك بيول، وأندريه رومان، ورولان مانيه. بإيجاد لغة عربية جديدة تكون مفرداتها هي المفردات الأكثر تداولا بين الناطقين بالضاد. أي استعمال اللهجات العامية الدارجة، وذلك بحجة أن " الاستعمال هو السيد الذي يفرض نفسه(الرئاسة العامة عدد1 ص98). وهكذا يتكرر الزعم الفاسق بأن الفصحى لا تستجيب للحضارة الحديثة، ولا تستوعبها، وأنها عسيرة على الذين يتعلمونها، ولا بد من استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وكتابتها باللهجات العامية الدارجة.

**3-4- مجموعة من الدراسات اللهجية :**

1- (أصول اللغة العربية العامية والفصحى) قدَّمه باللاتينية: دي سفاري De Sivarieسنة (1784م) إلى الحكومة الفرنسية. وكان هذا الكتاب هو الذي حمل المستشرق الفرنسي الكبير "سلفستر دي ساسي" على تعلُّم العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحية في باريس، والتضلع من آدابها، ونشر ذلك الكتاب سنة (1813) بعد موت مؤلفه سفاري بعناية الأستاذ: لانكلاز Lanclaze، من أساتذتها، وتنقيح: مخايل الصباغ السوري، أحد مدرسيها.

2- (الألفاظ البرتقالية المشتقة من العربية) لسوزا البرتقالي Souza طبعت سنة (1812م).

3- (أمثال المكيين بالألمانية) للمستشرق: سنوك هورغرونجي Hurgronge الهولانديّ.

4- (بحث في لغة نجد الحالية) للمستشرق ج . ج هس J.Hess.، في مؤتمر المستشرقين في أثينا اليونانية، في نيسان سنة (1912م) وفيه تحقيق في انتقال نبرة الصوت والتنوين في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد مجلة البحوث الإسلامية - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - معها ملحق بتراجم الأعلام والأمكنة 1-98كلامهم، كما في قولنا (هي امرأة لي) فيقولون هم: (هي مرتالي).

5- (تحفة المكانب للمعرب والكاتب) لجامع هذه المقالة، وضعه في مجلد كبير لمساعدة المعربين والكتاب على إيجاد ألفاظ تناسب أغراضهم الأدبية والعلمية، وتهذب تعبيراتهم العامية، ولا يزال مخطوطًا ممثلاً للطبع.

6- (رسالة في اللغة المالطية) للمستشرق الألماني جزينيوس Gesenins المتوفى سنة (1842م).
7- (مفردات الكلمات الأسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية) للمستشرقين: دوزى Dozy وأنغلمان Englmann طبع في ليدن سنة (1869م).
8- (كنز المصاحبة والأدب للأنيس والطالب في لغة مصر والمغرب) تأليف: يوحنا يوسف مرسل J.J. Marcel وهو محاورات فرنسية وعربية بالعامية، طبع في باريس سنة (1837م = 1253هـ) في (574) صفحة بقطع الربع، وفيه لهجات تونس ومراكش ومصر مرتبة على حروف المعجم.
9- (مفتاح كنوز النحو والأدب لعلوم العرب) تأليف (م. برنييه) M. Brenier تلميذ سلفستر دي ساسي شيخ المستشرقين، طبع في باريس سنة (1855م) بالعربية والفرنسية، وفيه قطع مأخوذة بالتصوير الشمسي بخطوطها الأصلية من كوفية وغيرها، وهناك رسائل وقطع باللغة العامية المغربية، وأخبار بلغة الجزائر العامية، وأزجال ورسائل، ترجم بعضها بالفرنسية.
(كتاب الفوائد في العوائد والقواعد والعقائد) تأليف دسبارمي F. Despermet المدرس، وهو باللغة العامية، ضمن أزجالاً وأغاني وخرافات، طبع في البليدة بالجزائر سنة (1905م) في (228) صفحة بقطع الربع.
10- (لغة الجزائر العامية) تأليف هوداس Houdas(1) بالفرنسية.
11- (العربية ولهجاتها) رسالة بالفرنسية للكنت:دي لاندنبرج الأسوجي، قدمها للمؤتمر الدولي الرابع في الجزائر سنة (1906م).
12- (خصائص اللغة العربية) رسالة في اللغة العربية الفصحى والعامية وما يقابل خصائص الفصحى في غيرها من اللغات، لحبيب بك غزالة، نزيل مصر، طبعت في القاهرة سنة (1935م) في (32) صفحة بقطع الربع.
13- (الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية) لجرجي بك زيدان، منشئ "مجلة الهلال" (وهي في الأدلة اللغوية التحليلية على أن اللغة العربية مؤلَّفة في الأصل من أصول قليلة ثنائية أحادية المقطع، معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجية والأصوات الطبيعية، التي ينطق بها الإنسان غريزيًّا). وقد تعرَّض المؤلف لما في الألفاظ العامية من القلب والإبدال والنحت والزيادة والنقصان وما شاكل.
... وقد طبعت ثانية في مصر سنة (1904م) في (118) صفحة بقطع الربع، وفيها تعرض للكتابة والأرقام وصورهما وطرق التعبير السامية بالعبرية والسريانية وغيرهما، وباللغات الأوربية.
14- (الخواطر في اللغة) لجبر ضومط، أستاذ العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت سابقًا، وهو في تحليل الألفاظ بحسب أصول اللغات السامية كالعبريّة والسريانيّة وما دخل العربية من ألفاظهما وقواعدهما. طبع بيروت في (نحو 100 صفحة) بقطع الثمن. ولضومط مباحث في اللغة العربية طبعت كتابًا فيه فوائد كثيرة.
15- (الكلمات الآرامية الدخيلة في العربية) وهو معجم فرنكل Francle طبع بليدن (هولندا) سنة (1886م).
(مباحث عامية) للأستاذ جيوسب فورلاني Dott Guiseppe Furlani الإيطالي. زارني في دمشق وزحلة، ورأى معجم العامية والدخيل الذي وضعته، ومجاميع الأمثال العامية والأزجال التي جمعتها ونقل منها أشياء؛ وذلك سنة (1924م).
16- (قواعد باللغة المصرية العامية) لفسك Fask الأميركي، وهي لكتابة اللغة العامية بحروف أوربية، وعنوانها بالعربية العامية، هكذا (أجرومية مصري مكتوبًا باللسان المصري ومعها أمثلة) ثم بالفرنجية.

17- (اللغة الشائعة في سورية قبل الهجرة) بحث مفيد للمطران إقيليميس يوسف داود، مطران السريان الكاثوليك في دمشق، نشره في مجلة الشرق اليسوعية (1: 842) وهو من كتابه (اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية) وفيه الألفاظ الدخيلة في العربية الفصحى والعامية من السريانية وغيرها.

18- (أحسن النخب، في معرفة لسان العرب) للأستاذ حسن المصريّ، المدرس في كلية فيينا. طبع سنة (1869م) في (266) صفحة، وهو في تعليم اللغة المصرية الدارجة.

19- (أصول اللغة العربية المحكية) وضعه بالإنكليزية في لندن المرحوم الأستاذ فارس الشدياق (المعروف بعد ذلك بأحمد فارس الشدياق)، وطبع سنة (1856م).

20- (نصوص عربية في لغة العرائش العامية) للأستاذ مخيمليانو أ. سنطون Maximiliano X Santon الأندلسي، جمع فيه لغة العرائش في مراكش سنة (1910م) ونشر الأخبار بحرفها المغربي، ورسم لفظها بالحرف الإفرنجي، وترجمها بلغته المعروفة بالقسطيلية، وذيلها بمعجم الألفاظ العويصة وشرحها.

21- (مواد لدرس لهجة عرب البدو في إفريقية المتوغلة) وهو كتاب بالألمانية نشر أولاً في "مجلة اللغات الشرقية" البرلينية ثم على حدة في برلين سنة (1899م) في (80) صفحة. بالقطع الكبير، تأليف الأستاذ المستشرق الألماني: جورج كمبفماير(1) G. Kampffmeyer.

وهنا نلاحظ أن هذه الأعمال يشرف عليها مستشرقون مغرضون ومستغربون ، وعملاء ، ويرون في هذه العامية أملهم في أن تحمل لواء العلم و الأدب، وتتسع لمستحدثات الحضارة.ومن أجمل الردود على هؤلاء ما قاله رمضان عبد التواب: فأية عامية تلك التي يريدونها؟ أهي عامية مصر، أم عامية الجزيرة العربية، أم عامية العراق، أم عامية سوريا، أم عامية المغرب، أم عامية السودان؟ وفي مصر مثلا: أهي عامية الصعيد، أم عامية الوجه البحري، وفي الوجه البحري: أهي عامية الشرقية، أم المنوفية، أم البحيرة؟ إن هذا لهو الضلال المبين!(رمضان 1995م ص 112).

إن الدعوة إلى اللهجات والاهتمام بالإنتاج الفني من خلالها،أو ما يرونه (فنا أدبيا) لأنه يعبّر حسب رأيهم عن شريحة هامة في المجتمع، مجرد تبرير لا قيمة له، يسمح لأعداء الأمة أن تمرر مشروعها الاستدماري الخطير، فالأحداث التي ألمت بالوطن العربي في مشرقه ومغربه بعد الحرب الأولى جعلت جناحي هذه الأمة في وضع مماثل :سلطان أجنبي قاهر لا يريد الأرض وحدها، ولا يريد المواد الأولية وحدها ، ولكنه يريد أن يحول بين هذا الشعب في هذين الجناحين وبين وظيفته الحضارية(مجلة المجمع (81 ص10).

وظلت اللغة العربية مادة تفجير يريد الغرب المستعمر تفجيرها بطرائق لا تحصى من مثل: إحياء اللغات الميتة، وتشجيع انتشار اللهجات المحلية، ورمي اللغة العربية بكل نقيصة واتهامها بكل صعوبة ، وفرض اللغة الأجنبية ونشر المؤسسات التعليمية والتبشيرية ، ويؤيده في ذلك التقدم الحضاري للدول الغربية وضعف الحكومات العربية واستخذاء بعض عناصرها .

وفي الواقع وجدت البلاد العربية نفسها من شواطئ الدار البيضاء إلى شواطئ الخليج أنها هدف لقوى مفترسة، وأنها تعاني أوضاعا متشابهة، وأن طريقها لتجاوز هذا الطغيان طريق واحد هو طريق الحفاظ على عناصر الأصالة الذاتية، وهي ذاتها عناصر الوحدة .

فقد نما هذا العلم في الجامعات الأوروبية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين حتى أصبحت الآن عنصرا هاما بين الدراسات اللغوية الحديثة، وأسست لها في بعض الجامعات الراقية فروع خاصة بدراستها،

تعنى بنشرها، وتحليل خصائصها.هذا المشروع لم يرض عنه حتى علماء اللغة في أوروبا وأمريكا، وهذا هو "ماريو باي" يرد عليهم فيقول: "شق الجيل الجديد من اللغويين في أمريكا، عصا الطاعة على النحو التقليدي، وبدءوا يدعون للمبدأ الذي ينادي بأن الصيغة التي يستخدمها الناس، هي الصيغة اللغوية الصحيحة. وقد صار شعار هذه المدرسة:إن اللغة الحقيقية، هي اللغة التي يستخدمها الناس فعلا، لا اللغة التي يعتقد بعضهم أن على الناس أن يستخدموها". ولكن الصيغة التي يستخدمها الناس، لها مشكلاتها الخاصة بها، فأية صيغة هذه؟ ومن الذي يستخدمها؟ حتى في الدول التي يظهر للناس أنها تستخدم لغة موحدة، هناك مستويات مختلفة لاستخدامها، كما تختلف اللهجات المحلية، باختلاف المناطق التي تستخدمها( م البحوث م41 ع83 ص52).

ويقف الإنسان مذهولا أمام بعض الدعاوى الباطلة التي تدلّ على أن حصوننا مهددة فعلا من داخلها يقول الشيخ الأستاذ أحمد يخلف: "ولقد بلغ من خبث بعض دعاة العامية في الوطن العربي أحيانا، أن زعموا أن العامية شكل صحيح من أشكال الفصحى، عنها تطور ومنها ولا يقول عاقل أو مخلص: بتعليم اللغة الأجنبية للأطفال ونترك تعليمهم الفصحى لتشيع العامية وينتشر اللحن بين الناشئة.أما العرب المستغربون الذين حطبوا في حبل أعداء الإسلام، وكالوا بصاعه فمنهم:

-**عبد العزيز فهمي** عضو المجمع العلمي المصري. الذي تقدم سنة 1943 م باقتراح لاستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وشغل المجمع ببحث اقتراحه لعدة سنوات حتى خصص المجمع جائزة مالية لمن يتقدم بأحسن اقتراح لتيسير الكتابة العربية.

- **وسلامة موسى**، الكاتب المصري المسيحي المعروف بعدائه للإسلام، الذي أيد اقتراح " ولكوكس " أن تكون هناك لغة مصرية للكتابة والتأليف، وقال:(إن اللغة العربية لغة بدوية، وأنها لغة رجعية متخلفة)

-**ورفاعة الطهطاوي**. . الذي دعا بعد عودته من فرنسا سنة 1285 هـ إلى استعمال اللغة العامية وتصنيف الكتب بها. ومثله الدكتور لويس عوض الكاتب المصري.

- **سعيد عقل** الكاتب اللبناني. . دعا إلى استخدام اللغة العامية، وكتابتها بالحروف اللاتينية قائلا في وقاحة عجيبة: " من أراد لغة القرآن فليذهب إلى أرض القرآن ".

**وأحمد لطفي السيد** - من مصر - دعا إلى التسامح في قبول المسميات الأجنبية، وإدخالها في اللغة العربية، زاعما أن استعمال المفردات العامية وتراكيبها: إحياء للغة الكلام والخطاب، وأننا بذلك نجعل العامة يتابعون كتابة الخاصة، وخطبهم وأحاديثهم(أرشيف 2008م ص22).

**5- اللهجات و التعليم-**

اللهجات العامية في البلاد العربية يختلف بعضها عن بعض اختلافا واضحا على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية -واستخدامها في أية مرحلة من مراحل التعليم من شأنه أن يوسع من دائرة هذا الاختلاف، ويمنحها عوامل قوية تؤدي إلى التفريق والتنويع بصورة أشد وأكثر عمقا. وليس من البعيد -في هذه الحالة- أن تأخذ كل لهجة طريقها الخاص بها وتثبت قواعدها ونظمها حتى تستقل بنفسها وتصبح لغة قائمة بذاتها على مر الزمن. وليس هذا الأمر مستحيلا أو خيالا بالنسبة للتطور اللغوي وطبيعته. لقد حدث هذا في عديد من اللغات، كاللاتينية التي ساعدت الظروف السياسية والثقافية على التباعد بين لهجاتها حتى صارت لغات مستقلة ذات خواص مميزة تبعد قليلا أو كثيرا عن اللغة الأم.

2- يترتب على هذا الموقف انعزال الفصحى وإبعادها عن مسرح الحياة، وقد يؤدي إلى إضعافها أو القضاء على مقوماتها الأساسية بصورة أو بأخرى.

على أن الأمر لا يقف عند هذا الحد. إن اختيار العامية للأخذ بها في مراحل التعليم الأولى "وغيرها بالطبع" يوقعنا في محظور آخر، فالبلد العربي الواحد لا يقتصر التعامل اللغوي فيه على لهجة واحدة. وإنما هناك عدد من اللهجات التي تختلف فيما بينها، بسبب العوامل الجغرافية أو الثقافية أو غيرها، فلدينا في مصر مثلا لهجة أو عدة لهجات بالوجه البحري، وكذلك الحال في الصعيد، وهناك من جانب آخر في أي من هاتين المنطقتين الجغرافيتين الكبيرتين ألوان من الكلام وأنماط الحديث التي يستطيع الباحث المدقق أن يصنفها إلى ما يمكن أن نسميه بلهجة العوام ولهجة المتنورين ولهجة المثقفين.

وهنا نجد أن الآخذ بمبدأ اللهجات نفسه في متاهة واضطراب حيث لا يستطيع علميا أن يحسم الأمر، فيفضل لهجة على أخرى، لأن أسس الاختيار أو التفضيل تساعده والقول باختيار العناصر العامة أو المشتركة بين هذه اللهجات قول نظري، يحتاج قبل الإقدام على تطبيقه إلى دراسات طويلة شاقة، وهو أمر - بطبيعة الحال- يحتاج إلى وقت طويل ومال كثير حتى نستطيع إنجازه بصورة علمية مقبولة. والحق أن هذا الاتجاه يعد في نظرنا خطوة على الطريق السليم نحو إصلاح تعليم اللغة العربية من شتى جوانبه، ومن هذه الجوانب تحديد نوعية اللغة في المراحل الأولى، ذلك لأن الكشف عن العناصر المشتركة أو النماذج اللغوية الشائعة في البيئة المعينة عامل من عوامل تحديد النطاق الذي ندور فيه نحو تعيين الصيغة اللغوية المناسبة لهذه المراحل.

على أن الأمر لا يقف عند هذا الحد. إن اختيار العامية للأخذ بها في مراحل التعليم الأولى "وغيرها بالطبع" يوقعنا في محظور آخر، فالبلد العربي الواحد لا يقتصر التعامل اللغوي فيه على لهجة واحدة. وإنما هناك عدد من اللهجات التي تختلف فيما بينها، بسبب العوامل الجغرافية أو الثقافية أو غيرها، فلدينا في مصر مثلا لهجة أو عدة لهجات بالوجه البحري، وكذلك الحال في الصعيد، وهناك من جانب آخر في أي من هاتين المنطقتين الجغرافيتين الكبيرتين ألوان من الكلام وأنماط الحديث التي يستطيع الباحث المدقق أن يصنفها إلى ما يمكن أن نسميه بلهجة العوام ولهجة المتنورين ولهجة المثقفين.

وهنا نجد أن الآخذ بمبدأ اللهجات نفسه في متاهة واضطراب حيث لا يستطيع علميا أن يحسم الأمر، فيفضل لهجة على أخرى، لأن أسس الاختيار أو التفضيل تساعده والقول باختيار العناصر العامة أو المشتركة بين هذه اللهجات قول نظري، يحتاج قبل الإقدام على تطبيقه إلى دراسات طويلة شاقة، وهو أمر - بطبيعة الحال- يحتاج إلى وقت طويل ومال كثير حتى نستطيع إنجازه بصورة علمية مقبولة. والحق أن هذا الاتجاه يعد في نظرنا خطوة على الطريق السليم نحو إصلاح تعليم اللغة العربية من شتى جوانبه، ومن هذه الجوانب تحديد نوعية اللغة في المراحل الأولى، ذلك لأن الكشف عن العناصر المشتركة أو النماذج اللغوية الشائعة في البيئة المعينة عامل من عوامل تحديد النطاق الذي ندور فيه نحو تعيين الصيغة اللغوية المناسبة لهذه المراحل.

- العامية. إن العامية في الوقت الحاضر ليست بعيدة عن "الفصحى المعاصرة" بالقدر الذي يظنه بعض الناس. إن الدراسة الجادة والبحث العلمي الدقيق كفيلان بالعثور على عناصر مشتركة كثيرة. تصلح في نظرنا نقطة بدء موقوت لتعليم اللغة القومية في المراحل الأولى.وهنا ينبغي أن نشير إلى أمرين مهمين:

- إن هذا المنهج ليس دعوة إلى العامية بحال من الأحوال. إنه على العكس من ذلك يرمي إلى خدمة لغتنا القومية، وذلك بسبب الوصول إليها والتمكن منها من طريق واقعي مألوف للمتعلمين، ومن ثم يقبل المتعلم على ما يلقى إليه ولا يمله أو يرغب عنه.

- إن الأخذ من العامية ليس أخذا مطلقا في المادة أو الفترة الزمنية. أما من حيث المادة فهذا الأخذ مشروط بعملية الانتقاء والاختيار، وهو من حيث الفترة الزمنية أخذ موقوت كما قررنا، فلا علينا إن نحن أخذنا -في البداية- بعناصر عامية مختارة لفترة محددة، محاولين التقليل أو التخلص منها بالتدريج، حتى يقف التلميذ على أرض صلبة يستطيع الانطلاق منها نحو الفصحى بدرجاتها ومستوياتها المختلفة.

هذا الطريق بجانبيه يضمن لنا الوفاء بالمبدأ الأول المقرر الأخذ به في عملية التعليم بعامة. وهو مبدأ "وجوب الانتقال من المعلوم إلى المجهول" ومعناه في النهاية أن الأخذ بالفصحى المعاصرة مع الاعتماد على عناصر مختارة من العامية والتدرج من هذه الفصحى إلى فصحى التراث يتمشى مع المبدأين المقررين والواجب اتباعهما معا في تعليم اللغة. وهنا قد يتساءل الناس: كيف تتخذ العامية مدخلا إلى الفصحى ومعبرا إليها؟ والإجابة عن هذه التساؤل تتلخص في وجوب القيام بعملية اختيار وانتقاء. وهذا الاختيار في حاجة إلى دراسة شاملة واسعة للهجات.

**6- الكتب الثقافية:**

يجدر بالمسئولين أن يعنوا بالكتاب العام من حيث المضمون والشكل، ذلك لأن مثل هذه الكتب لها جمهور عريض، ومن ثم يجدر بنا أن ننتهز هذه الفرصة فنعني بلغتها، وبذلك تصبح رافدا من روافد الصحة اللغوية. مع ضرورة ضبط هذه المواد بالشكل ضبطا كاملا. وأن لا ننسى مجلات الأطفال. فهي واحدة من أهم وسائل التقريب، غاية الأمر أن تحرير هذه المجلات يحتاج إلى ذكاء وحسن تصرف في المادة اللغوية، حتى يستطيع الصغير الإفادة منها على الوجه المبتغى(كمال 1998م ص22). ويقول: "أحب أن ألفت نظر أدبائنا الذين يطالبون بالالتجاء إلى اللهجات العامية إلى شيء خطير ما أرى أنهم قد فكروا فيه فأحسنوا التفكير. هو أن العالم العربي الآن، وكثيرًا من أهل العالم الشرقي كله يفهم العربية الفصحى ويتخذها وسيلة للتعبير عن ذات نفسه وللتواصل الصحيح القوي بين أقطاره المتباعدة، فلنحذر أن نشجع الكتابة باللهجات العامية، فيمعن كل قطر في لهجته، وتمعن هذه اللهجات في التباعد والتدابر، ويأتي يوم يحتاج فيه المصري إلى أن يترجم إلى لهجته كتب السوريين واللبنانيين والعراقيين، ويحتاج أهل سورية ولبنان والعراق إلى مثل ما يحتاج إليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية إلى لهجاتهم كما يترجم الفرنسيون عن الإيطاليين والإسبانيين، وكما يترجم هؤلاء عن الفرنسين(كمال 1998م ص 22).

ويضيف قائلا: ولنسأل أنفسنا آخر الأمر: أيهما خير؟ أن تكون للعالم العربي كله لغة واحدة هي اللغة الفصحى، يفهمها أهل مراكش كما يفهمها أهل العراق، أم أن تكون لهذا العالم لغات بعدد الأقطار التي تتألف منها، وأن يترجم بعض عن بعض(كمال 1998م ص 14)

**7- خاتمة ونتائج البحث:**

هناك جملة من النتائج نستخلصها من البحث، ويمكن حصرها في النقاط الآتية:

1- إن لغتنا العربية هي اللغة السامية الوحيدة التي جمعت ودوّنت، وتملك النسخة الأصلية ممثلة في القرآن وباقي الأصول النقلية.

2- يجب التميز بين نوعين من اللهجات القديمة الأصيلة الفصيحة، أساس الاستنباط اللغوي ومستوياته، واللهجات العامية المنحرفة.
3- إن هناك من يسعى لإلغاء اللغة العربية، وهم منا، مما يعني أن حصوننا مهددة من داخلها.
4- تطوير البرامج التعليمية ضروري ومهم، لكن ليس بتهديم الضوابط والقواعد التي تركها علماؤنا القدامى، ومازال علماؤنا اليوم يشتغلون عليها.
5- لابد من فكر لساني ناضج قادر على ربط القديم بالحديث، يعني التراث اللغوي وعلم اللسان الحديث.
6- لابد من إستراتجية تربوية مدروسة تهدف إلى خلق جيل على المدى البعيد فصيح اللسان، ينتمي فعلا لهذه اللغة المقدسة.
7- لابد من الوعي الدائم لصدّ جميع محاولات الهدم الممنهج، سواء على مستوى برامج التعليم، أو شبكات التواصل الاجتماعي باعتبارها وسيلة مميزة اليوم.
8- لا ينبغي الركون إلى القديم، والبكاء على أطلال الماضي،لابد من الانطلاق من حيث توقف أسلافنا، والبناء عليه باستغلال كل التكنولوجيات الحديثة، وتقديم الأفضل لهذه اللغة.

هذه مجموعة من النقاط المستخلصة من البحث المتواضع، تبين أن خدمة اللغة العربية مهمة الجميع، وأنها لاتقل أهمية عن خدمة كتاب الله شرحا وتفسيرا، كما قال الإمام الشّاطبي –رحمه الله في الموافقات وعلى الناظر في كتاب الله أن يكون كالخليل وسيبويه ولا يشترط أن يكون حافظا كحفظهما، والله المستعان.

ومهما تتطور اللهجات الإقليمية العامية في بعض الأقطار العربية، ومهما يحاول الدعاة إليها وضع القواعد لها والأصول، فمما لا ريب فيه أن العامية متفرعة عن الفصحى، ومتأثرة بها، وإن كانت أحيانًا تشويهًا وتحريفًا لها، وليس لداء العامية من علاج إلا محاربة الأمية، وتعميم التعليم الإجباري، وتمكين أجهزة الإعلام في الدول العربية من الارتفاع بالعامية إلى الفصحى المبسطة الميسرة، فيما تبثه بالإذاعة والتلفزيون من أشرطة مسجلة وأسطوانات، وفيما تنشره من أدبنا المسرحي الحي.

يجب على المجتمعات أن ترقى إلى اللغة العربية الفصيحة الميسرة، بضوابطها النحوية والصرفية والمعجمية، وليس أن نهدم ما بناه علماؤنا عبر مئات من السنين من الجهود العلمية الرائدة بتقديم لغة منحرفة، والتشجيع عليها، تحقيقا لغايات عدوانية تأتينا من وراء البحار، أو لضعف شخصية أن نقلد الغرب في كل شيء وأي شيء ، فهناك ما نحسد عليه بأن تفردنا به وهي اللغة العربية الموحدة التي تجمعنا في مشاعرنا وغاياتنا وأهدافنا وتمنحنا القوة هذا الذي لا تملكه شعوب أوروبا وأمريكا وغيرها من الأمم.

**8-المصادر والمراجع**


1-عباس حسن - 1966م اللغة والنحو بين القديم والحديث- دار المعارف مصر ،ط: 2

2-السيوطي -المزهر في علوم اللغة وأنواعها تحق: فؤاد علي منصور، بيروت: دار الكتب العلمية. 1/167-168

3- نهر هادي دراسات في اللسانيات 1432-2011م.ثمار التجربة-عالم الكتب الحديث،للنشر والتوزيع،عمان-الأردن،الطبعة1-السنة

4- ابن جني (أبو الفتح عثمان)، 1956/1952الخصائص تحق : محمد علي النجار ، القاهرة:

[5] – صبحي إبراهيم الصالح 1379هـ - 1960 دراسات في فقه اللغة دار العلم للملايين ط 1

6-كمال بشر 1998م دراسات في علم اللغة الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع شركة ذات مسؤولية محدودة الطبعة:1

7- رمضان عبد التواب (المتوفى: 1422هـ).1415هـ 1995م فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة: الثالثة

[8]- مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية 2006م _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (28) العدد (1) 1-5

[9]-مداخلة ابراهيم الدسوقي بمجمع اللغة العربية بالقاهرة بعنوان إبراهيم أنيس و الدرس اللغوي من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة9-4

10 - إبراهيم أنيس و الدرس اللغوي من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة 9-6

11 - محاضرة للأستاذ كمال بشر –اللغة العربية في مهب الريح – موقع الألوكة -

12 - الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد مجلة البحوث الإسلامية 12- مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- معها ملحق بتراجم الأعلام والأمكنة 1-98

13 - أرشيف ملتقى أهل الحديث – 3 تم تحميله : في 7 رمضان 1429 هـ = 7 سبتمبر 2008 م رابط الموقع : http://www.ahlalhdeeth.com

14 - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة . العدد (81)3-10 1934 – 2005 (1) إلى الرقم (108

15- مجلة البحوث الإسلامية1935 هـ - مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

16- مزيد إسماعيل نعيم . روفائيل أنيس مرجان 2006م أثر القراءات القرآنية في الدرس النحوي مجلة جامعة تشرين للدراسات و البحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (28) العدد (1)